شؤم المعاصي والذنوب

إخوة الإيمان: اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَرَاقِبُوهُ فِي السر والعلانية، وَ أَطِيعُوهُ وَلَا تَعصُوهُ، اتقوا الله تعالى بفعل ما أمركم به، واحذروا معصيته بارتكاب ما نهاكم عنه ، واعلموا أن للطاعة آثاراً حميدة، وعاقبةً سعيدة، وأن للمعاصي آثاراً قبيحة، وعقوبات شنيعة، قال تعالى في بيان آثار المعاصي: ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرّ وَالبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ، أي: بانَ النقص في الزروع والثمار، بسبب المعاصي، وقال بعض السلف: مَن عصى الله في الأرض، فقد أفسد فيها؛ لأن صلاح الأرض والسماء، بالطاعة، إخوة الإيمان: مَا خَلَقَنَا الله تعالى فِي هَذِهِ الدُّنيَا إِلَّا لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: وَمَا خَلَقْتُ الجِنّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ....، فَمَتَى استَقَمْنَا عَلَى هَذِهِ العِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ فُزْنَا بِخَيرِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ خَرَجْنَا عَن هَذِهِ العِبَادَةِ بِالمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ فَتَحْنَا عَلَى أَنفُسِنَا أَبوَابَ الشَّقَاءِ وَالعَذَابِ، قَالَ تَعَالَى: وَلَوْ أَنّ أَهلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم، وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة، وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم، وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب، يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم، بل العاصي لا يكفيه عقاب ذنبه حتى يلعنه من لا ذنب له، وَالذُّنُوبُ تَنقَسِمُ إِلَى أَربَعَةِ أَنوَاعٍ كَمَا ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَلَكِيَّةٍ، وَشَيطَانِيَّةٍ، وَسَبُعِيَّةٍ، وَبَهِيمِيَّةٍ، فَالذُّنُوبُ المَلَكِيَّةُ:أَن يُحَاوِلَ العَبدُ الاتصافَ بِمَا لا يجُوز لَهُ مِن صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَالعَظَمَةِ ، وَالكِبرِيَاءِ ، وَالجَبَرُوتِ، وَالقَهرِ، وَالعُلُوِّ، وَاستِعبَادِ الخَلقِ، وَنَحوِ ذَلِكَ، وَيَدخُلُ فِي هَذَا: الشِّركُ بِالرَّبِّ سبحانه وتَعَالَى، وَالقَولُ عَلَيهِ بِلَا عِلمٍ، فَمَن كَانَ مِن أَهلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ فَقَد نَازَعَ اللَّهَ سُبحَانَهُ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلكَهُ، وَجَعَلَ لَهُ نِدًّا، وَهَذَا أَعظَمُ الذُّنُوبِ عِندَ اللَّهِ، وَلَا يَنفَعُ مَعَهُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الذُّنُوبُ الشَّيطَانِيَّةُ :فَالتَّشَبُّهُ بِالشَّيطَانِ فِي الحَسَدِ، وَالبَغيِ، وَالغِشِّ، وَالأَمرِ بِمَعَاصِي اللَّهِ وَتَحسِينِهَا، وَالنَّهيِ عَن طَاعَتِهِ وَتَهجِينِهَا، وَالِابتِدَاعِ فِي دِينِهِ، وَالدَّعوَةِ إِلَى البِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَهَذَا النَّوعُ يَلِي النَّوعَ الأَوَّلَ فِي المَفسَدَةِ، وَإِن كَانَت مَفسَدَتُهُ دُونَهُ، وَأَمَّا الذُّنُوبُ السَّبُعِيَّةُ: فَأَن يتشبّهَ العبدُ بالسِّباع الضّارية، وذَلِكَ بِالعُدوَانِ وَالغَضَبِ، وَسَفكِ الدِّمَاءِ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالعَاجِزِينَ-يعني يسْتَوْلَى عَلَيْهِم ظُلْماً وَجَوْراً-، أي تكون فيه الجُرأَة عَلَى الظُّلمِ وَالعُدوَان، وَأَمَّا الذُّنُوبُ البَهِيمِيَّةُ: فَمِثلُ الشَّرَهِ، وَالحِرصِ عَلَى قَضَاءِ شَهوَةِ البَطنِ وَالفَرجِ، وَمِنهَا يَتَوَلَّدُ الزِّنَى، وَالسَّرِقَةُ، وَأَكلُ أَموَالِ اليَتَامَى، وَالبُخلُ، وَالشُّحُّ، وَالجُبنُ، وَالهَلَعُ، وَالجَزَعُ، وَغَيرُ ذَلِكَ، وَهَذَا القِسمُ أَكثَرُ ذُنُوبِ الخَلقِ؛ وَمِنهُ يَدخُلُونَ إِلَى سَائِرِ الأَقسَامِ، فَالشَّيطَانُ يَجُرّهُم إِلَيهَا بِالزِّمَامِ، فَيَدخُلُونَ مِنهُ إِلَى الذُّنُوبِ السَّبُعِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى الشَّيطَانِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى مُنَازَعَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالشِّركِ فِي الوَحدَانِيَّةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ خَطَرَ الذُّنُوبِ عَلَى العَبدِ كَبِيرٌ، وَعَوَاقِبَهَا وَخِيمَةٌ، وَآثَارَهَا أَلِيمَةٌ، وَضَرَرَهَا فِي القُلُوبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الأَبدَانِ، وَهَل فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ شَرٌّ وَدَاءٌ إِلَّا وَسَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالمَعَاصِي؟ ومِن آثَارِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي فِي الدّنيا: أَوَّلًا: قَسوَةُ القَلبِ: فَإِنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَرَاكَمَت عَلَى القَلبِ طُبِعَ عَلَيهِ، وَتَغَطّى بِالرَّانِ، قَالَ تَعَالَى: كَلَّا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكسِبُونَ، قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَصلُ هَذَا أَنَّ القَلبَ يَصدَأُ مِن المَعصِيَةِ، فَإِن زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبعًا وَقُفلًا وَخَتمًا، فَيَصِيرُ القَلبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ ثَانِيًا: فُقدَانُ لَذَّةِ العُبُودِيَّةِ وَحَلَاوَةِ الطَّاعَةِ، وَهَذَا ثَالِثُ المُصِيبَةُ الكُبرَى، وَالبَاقِعَةُ العُظمَى، فَأَيُّ طَعْمٍ لِلحَيَاةِ بِدُونِ ذَوقِ لَذَّةِ العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ؟ وَأَيُّ جَمَالٍ لِلعَيشِ بِدُونِ استِشعَارِ حَلَاوَةِ طَاعَةِ اللَّهِ؟ فَكَم مِن عَبدٍ نَظَرَ بِبَصَرِهِ إِلى الحرامِ فَحُرِمَ البَصِيرَة، أو تكلّم بِما لا يُرضي اللهَ فضلَّ سَعيُهُ، أو أَكلَ ما لا يَحِلّ لَهُ فَأَظلَمَ قَلبُهُ وحُرِمَ حَلاوَةَ مُناجاةِ ربّه عِياذًا باللهِ من غَضَبِه وسَخَطِهِ، ثَالِثًا: إِلْفُ المَعَاصِي وَمَحَبَّتُهَا، وَتَعَلُّقُ القَلبِ بِهَا: فَإِنَّ المَعصِيَةَ تَدعُو أُختَهَا، وَتُزَيِّنُ صَاحِبَتَهَا، وَقَد تَقُودُهُ مَعَاصِيهِ شَيئًا فَشَيئًا إِلَى تَركِ دِينِهِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعدَهَا، وَإِنَّ مِنْ ثَوَابِ الحَسَنَةِ الحَسَنَةَ بَعدَهَا، رَابِعًا: نُفُورُ أَهلِ الخَيرِ وَالصَّلَاحِ عَنهُ، وَنُفُورُهُ عَنْهُم: فَلَا يَألَفُونَهُ وَلَا يَألَفُهُم، وَلَا يُجَالِسُونَهُ وَلَا يُجَالِسُهُم، فَيَفقِدُ حَلَاوَةَ مُصَاحَبَتِهِم فِي الدُّنيَا، وَيَفقِدُ دُعَاءَهُم لَهُ وَشَفَاعَتَهُم فِيهِ بَعدَ مَوتِهِ، وَقَد يَفقِدُ مَعِيَّتَهُم فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ، فَإِنَّ المَرءَ مَعَ مَنْ أَحَبّ، خَامِسًا: حِرمَانُ العِلمِ الشَّرعِيّ، فَإِنَّ العِلمَ نُورٌ يَقذِفُهُ اللَّهُ فِي القَلبِ، وَصَاحِبُ المَعَاصِي قَد أَظلَمَ قَلبُهُ، فَلَم يَعُدْ مَحَلًّا لِنُورِ العِلمِ، وَلَمَّا جَلَسَ الشَّافِعِيُّ بَينَ يَدَي مَالِكٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَقَرَأَ عَلَيهِ أَعجَبَهُ مَا رَأَى مِن ذَكَائِهِ وفَهمِهِ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ قَد أَلقَى عَلَى قَلبِكَ نُورًا، فَلَا تُطفِئْهُ بِظُلمَةِ المَعصِيَةِ، سَادِسًا: زَوَالُ النِّعَمِ وَحُلُولُ المَصَائِبِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، مِن فَقرٍ، وَمَرَضٍ، وَخَوفٍ، وَتَسَلُّطِ أَعدَاءٍ، وَزَلَازِلَ، وَبَرَاكِينَ، وَأَعَاصِيرَ، وَفَيَضَانَاتٍ، وَخَسفٍ، وَمَسخٍ، وَقَذفٍ، إِلَى غَيرِ ذَلِكَ، أَخرَجَ الإِمَامُ أَحمَدُ فِي المُسنَدِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ العَبدَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بِالذَّنبِ يُصِيبُهُ، وَعَن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، قَالَ:لَمَّا فُتِحَتْ قُبرُصُ فُرِّقَ بَينَ أَهلِهَا، فَبَكَى بَعضُهُم إِلَى بَعضٍ، وَرَأَيتُ أَبَا الدَّردَاءِ جَالِسًا وَحدَهُ يَبكِي، فَقُلتُ: يَا أَبَا الدَّردَاءِ! مَا يُبكِيكَ فِي يَومٍ أَعَزّ اللَّهُ فِيهِ الإِسلَامَ وَأَهلَهُ؟ فَقَالَ: وَيحَكَ يَا جُبَيرُ، مَا أَهوَنَ الخَلقَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَضَاعُوا أَمرَهُ! بَينَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ المُلكُ، لما تَرَكُوا أَمرَ اللَّهِ، فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى!أَيُّهَا المُسلِمُونَ: قال ابن رجب رحمه الله: الحذرُ الحذرُ من المعاصي، فكم سلَبت من نِعَم، وكم جلبت من نقم، وكم خربت من ديار، وكم أخلت دياراً من أهلها، وتاريخ سقوط الأندلس ليس عنا ببعيد، الأندلس فتحه المسلمون وأقاموا فيه ثمانية قرون، بنوا خلالها مجدا وحضارة أضاءت الطريق للنهضة الأوروبية فيما بعد، لكنهم خسروه بسبب الصراعات وحياة الترف والطرب واللهو.

عباد الله: تَركُ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي أَسَاسُ كُلِّ خَيرٍ وَفَلَاحٍ، وَمَنبَعُ كُلِّ هُدًى وَرَشَادٍ، أَخِي المُوَفَّق: اِعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا وَقَعتَ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي فَإِنَّ عُقُوبَةَ الذُّنُوبِ تَزُولُ عَنكَ بِأَسبَابٍ، مِن أَهَمِّهَا: التَّوبَةُ وَالِاستِغفَارُ، قَالَ تَعَالَى: قُل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لَا تَقنَطُوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ثَانِيًا: الأَعمَالُ الصَّالِحَةُ، قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: وَأَتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا

أَخرَجَهُ التِّرمِذِيُّ، ثَالِثًا: الصَّبرُ عَلَى المَصَائِبِ وَالبَلَايَا ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا يُصِيبُ المُؤمِنَ مِن وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزنٍ، وَلَا غَمٍّ، وَلَا أَذًى، حَتَّى الشَّوكَةَ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه [أخرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ]فَاستَكثِرْ أخي مِن هَذِهِ الأُمُورِ استِكْثَارَ مَنْ يَعلَمُ كَثرَةَ ذُنُوبِه، ويَخشَى مِن آثَارِهَا فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، واذكُرُوا اللَّهَ ذِكرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأَصِيلًا.

خطبة الجمعة ليوم 09 فبراير 2024 م